التحقيقُ في دلالةِ بعضِ الألفاظ والتراكيبِ القرآنية محاولةٌ لفهمٍ جديدٍ

أ.د. صاحب منشد عباس

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

Investigating the significance of some of the Qur'anic words and structures, an attempt at a new understanding.

Prof.Dr. Sahib Munshed Abbas

Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences

Email: Dr.sahebmanshedl@gmail.com

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:

فلا يخفى أنّ لكلمات القرآن الكريم ألفاظا وتراكيبا من الدلالات المختلفة والمعاني المتنوعة التي لا يمكن الوقوف على جميع أسرارها، وفهم مكنوناتها فضلا عن استقصائها وبيان جميع مواضعها.

وقد وجدنا كثيرا من علماء العربية ممن استدركوا على السابقين منهم ، فأضافوا ما فات عليهم وصوّبوا ما لم يكن صحيحا حتى كثرت المصنفات في هذا الباب، وقد نقل عن الجاحظ قولته المشهورة (إذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للآخر شيئًا فاعلم أنّه لا يريد أنْ يفلح)[1].

وإذا كان هذا شأنهم في علوم العربية كالنحو والمعجم والبلاغة، فما بالك بعلوم القرآن وتفسيره وتحليل نصوصه وهو كتاب – كما يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه، وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا لا يُدرك قعره... فهو معدن الإيمان وبحبوحته...وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون)[2].

ومن هنا يأتي هذا البحث ليكون محاولة ، أو قراءة في دلالات بعض الالفاظ والتراكيب القرآنية التي وقف عليها الدارسون قراءة وتحليلًا، فقد وجدت في تلك الآراء – أعني آراء الدارسين – مساحة للمناقشة ومن ثم إبداء رأي آخر مخالف لتلك الآراء التي كان بعض منها شائعا في الدراسات اللغوية القرآنية.

(١) معجم الادباء: ٥/ ٢١٠٣

(٢) نهج البلاغة : ٣٩٧: رقم الخطبة ١٩٨

وقد انقسم هذا البحث على مبحثين جاء الأول فيه بعنوان : (التحقيق في دلالة بعض الألفاظ القرآنية)، إذ ناقشنا فيه أقوال وآراء العلماء.

أمّا المبحث الثاني فكان عنوانه (التحقيق في دلالة بعض التراكيب القرآنية)، ثم أعقبت هذين المبحثين بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

كلمات المفتاحية : الفاظ القرآن، الدلالة، التراكيب، البلاغة.

Abstract

Investigating the significance of some of the Qur'anic phrases and structures an attempt to gain a new understanding

It is an attempt or a reading in the connotations of some of the Qur'anic words and structures on which the scholars stood for an explanation and analysis.

This research was divided into two sections: the first dealt with the implications of some Qur'anic expressions and discussed the sayings and opinions of scholars and scholars in them.

As for the second topic it was related to the significance of some Qur'anic structures and its discussion of the scholars' opinions on them. Then these two sections were followed by a conclusion that included the most important findings of this research.

Keywords: Quran words, semantics, structures, rhetoric.

المبحث الاول

التحقيق في دلالة بعض الألفاظ القرآنية

يحاول الباحث هنا أنْ يقف على آراء العلماء، والدارسين في دلالة بعض الألفاظ المترادفة، أو المتقاربة دلاليا ، والتحقيق أيضا فيما ذكره العلماء في دلالة بعض الألفاظ والصيغ في القرآن الكريم ومن هذه الالفاظ:

إمرأة – زوج

هاتان اللفظتان تشتركان من حيث الدلالة المركزية في بعض مواضع القرآن الكريم على المرأة الزوج، إلّا أنّ كثيرا من الدارسين حاول أنْ يفرق بين اللفظتين في ضوء الدلالة الهامشية المستمدة من السياق والاستعمال القرآني، فاللفظتان وإنْ اتفقتا في الدلالة المركزية إلّا أنّ كل لفظة قد تحمل من الشحنات الدلالية في ضوء السياق الذي ترد فيه ما لا تحمله اللفظة الأخرى المقاربة لها في المعنى كما سيتبين لنا.

ولعل أول من وقف على ذلك هو الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ إذ تقول مشيرة إلى الاختلاف بين اللفظتين في ضوء الاستعمال القرآني : (ونتدبر سياق استعمال القرآن للكلمتين: كلمة زوحيث تكون الزوجية هي مناط الموقف كلمة وآية أو تشريعا ....فإذا تعطلت آيتها من السكن ، والمودة ، والرحمة بخيانة ، أو تباين في العقيدة فامرأة لا زو((امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا))[1]، ((امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا))[2][3]، إلى غير ذلك من النصوص المباركة التي استدلت بها على ذلك.

وقد تابع هذا الرأي عدد من الدارسين، إذ ذكر الدكتور عبد الفتاح لاشين (أنّ لفظ (الزوج) حينما جاء في التعبير القرآني جاء لمعنى تكون فيه المشابهة واضحة والمشاكلة ظاهرة والتساوي بين الطرفين موجودا والتناسب بين الجانبين مشاهدا. أمّا لفظ (امرأة) فجاء في

(١) سورة يوسف ، الآية : ٣٠.
(٢) سورة التحريم ، الأية : ١٠.
(٣) الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق ١/ ٢٣٠.

التعبير القرآني حينما كانت المشابهة بين الجهتين غير ممكنة ، والتناسب غير واقع والتساوي مستحيلا، والمشاكلة غير واردة)[١].

وقريب من هذا الرأي ما ذهب إليه الدكتور محمد محمد داود إذ يرى أنّ بين هاتين اللفظتين تقاربا دلاليا فكلاهما مشترك في الدلالة على العلاقة بين الرجل والمرأة إلّا أنْ لفظ (زوج) قد اختص بملمح المشاكلة والمجانسة ، واستعملت في الدلالة على نساء المؤمنين أمّا التعبير بلفظ (امرأة) فقد اختصت بملمح الأنوثة ، واستعملها القرآن في الإخبار عن نساء أهل الشرك[٢]، وإلى مثل ذلك ذهب غير واحد من الباحثين[٣].

بيد أنّ المتأمل في مواضع استعمال اللفظتين في القرآن الكريم يجد أنّ الأمر أبعد مما ذكره الدارسون وأنّ الاختلاف في استعمال اللفظتين لا ترتبط بمقولة الاختلاف أو الانسجام بين الزوجين.

ومن هنا أرى أنّ السبب في هذا التناوب بين اللفظتين يعود إلى أنّ القرآن الكريم ينظر إلى المرأة من زاويتين الأولى بلحاظ كونها زوجًا للرجل ، وقرينا له ، ومقتضى ذلك هو الشركة بين الاثنين ، والتماثل ، والاقتران فهي تشترك مع الرجل من هذه الناحية بالخلقة والإنسانية والآدمية ولها من الحقوق – بناء على ذلك – ما للرجل من حقوق.

ولنقرأ بعضا من النصوص القرآنية المباركة التي تؤكد هذه الحقيقة، من ذلك قوله تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ...)[٤]، فالسكن والأكل هما حاجتان رئيستان ترتبطان بالإنسان من حيث كونه إنسانا رجلا كان أو امرأة

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٥]، فالخلق أصل يشترك فيه الرجل والمرأة على حد سواء .

(١) من اسرار التعبير في القرآن ، صفاء الكلمة: ١٠٨

(٢) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ٢٧٨–٢٨٠.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ٢١٣، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٩٧.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٣٥.

(٥) سورة النساء ، الآية : ١.

وقوله عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات المباركة التي تعزز هذا الرأي[2].

فإذا كان السياق القرآني يرتبط بهذا اللحاظ فإنه يستعمل لفظة (زوج) بصرف النظر عن التماثل العقدي ، أو الانسجام المتصل بالحياة الزوجية.

أما الثانية فإنّه ينظر إليها بلحاظ كونها كيانا مستقلا لها من الصفات ، والخصائص ما يميزها عن الرجل ولعل أبرز هذه الصفات صفة الأنوثة ، وما يتفرع عنها من أمور تخص المرأة ،ولا يشاركها بها الرجل كالحمل، والرضاعة، والحيض ، وما إلى ذلك، فإذا كان السياق القرآني يرتبط بهذه الناحية فإنّه يأتي بلفظ (امرأة)، وتأمل معي جانبا من الآيات الكريمة التي تؤيد هذا الرأي، منها:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ... ﴾[4].

وقوله عز وجل: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿...قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[6].

وقوله عز من قائل: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩.
(٢) ينظر: سورة البقرة ، الآيتان : ٢٣٠،١٠٢، سورة النساء ، الآية : ٢٠، سورة الاعراف ، الآية: ١٨٩،سورة طه الآية : ١١٧، سورةالاحزاب ، الآية : ٣٧، سورة النجم ، الآية : ٤٥، سورة المجادلة: ١، سورة الممتحنة: ١١.
(٣) سورة ال عمران ، الآية : ٣٥
(٤) سورة ال عمران ، الآية : ٤٠
(٥) سورة هود ، الآية : ٧١
(٦) سورة يوسف ، الآية : ٥١

عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

إلى غير ذلك من النصوص التي تؤكد ما ذكرناه آنفا من أنّ السياق القرآني اذا كان يرتبط بالنظر إلى المرأة من حيث كونها كيانا مستقلا لها من الصفات الخاصة التي تميزها عن الرجل، فضلا عن بعض الأعمال التي تقوم بها بنحو الاستقلال عن الرجل فالتعبير يكون بلفظ (امرأة) والله أعلم.

البحر - اليم

استعمل القرآن الكريم هاتين اللفظتين في مواضع كثيرة للدلالة على البحر، وقد حاول كثير من الدارسين التفريق بين هاتين اللفظتين في ضوء الاستعمال القرآني.

فقد ذكروا أنّ لفظة البحر لم يستعملها القرآن الكريم إلّا في سياق النعمة والنجاة، أمّا لفظة (اليم) فقد وردت في ثمانية مواضع منه ولم ترد إلّا في سياق العقوبة ، والإهلاك والانتقام ولم تأت إلّا في سياق قصة موسى عليه السلام وفرعون، وقد دفع ذلك بعض العلماء إلى القول بأنّ لفظة (اليم) هي في الأصل عبرية وسريانية.

فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ القرآن الكريم (قد يستعمل الكلمتين في مقامين متشابهين وذلك كما في قصة موسى مثلًا فإنّه مرة يستعمل البحر، ومرة يستعمل اليم قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾[2]، وقال في فرعون ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾[3] فلم ذاك ؟

نريد أنْ نذكر أولا أنّ كلمة (يم) هي عبرية وسريانية (يما) وأكدية (يمو)... ولقد وردت كلمة (اليم) في القرآن الكريم ثماني مرات وكلها في قصة موسى، ولم ترد في غير هذه القصة وهو من لطيف الاستعمال، فقد استعمل الكلمة العبرانية في قصة موسى وقومه وهم العبرانيون أمّا كلمة (البحر) فقد استعملت في قصة موسى ، وفي غيرها من المواطن...ومن الملاحظ في استعمال هاتين الكلمتين أنّه لم يستعمل (اليم) إلّا في مقام العقوبة أو الخوف ، ولم

(١) سورة التحريم ، الآية : ١١
(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٦٣
(٣) سورة القصص ، الآية : ٤٠

يستعملها في مقام النجاة... أمّا البحر فقد استعمله عاما في النعم وغيرها وفي بني إسرائيل وغيرهم...)[١].

ويجدر بنا – هنا – أنْ نسجل جملة من الملاحظ حول هاتين اللفظتين لنضيفها إلى ما ذكره الدكتور السامرائي.

ذكر أصحاب المعاجم اللغوية أنّ الأصل اللغوي للفظة (البحر) هو الانبساط والسعة، قال الخليل: (البحر سُمي به لاستبحاره وهو انبساطه وسعته. وتقول: استبحر في العلم، وتبحر الراعي: وقع في رعي كثير)[٢]، وقد تابع هذا الرأي أغلب اصحاب المعاجم اللغوية[٣].

أمّا الأصل اللغوي للفظة (يم) فقد ذكر الخليل أنّ اليم هو (البحر الذي لا يدرك قعره، ولا شطأه ... وتقول: يُمّ الرجل فهو ميموم اذا وقع في اليم وغرق فيه)[٤]، ونقل هذا المعنى عدد من أصحاب المعاجم اللغوية[٥]، ويستفاد مما تقدم أنّ معنى هذه اللفظة فيها ملمح دلالي يوحي بالسعة والعمق، ولا يخفى أنّ السعة والعمق يستدعيان – بلا شك – الخوف والهلع فكلّما كان البحر واسعا وعميقا كان مبعثا للخوف وللهلع لكل من يجوب فيه.

ويبدو لي أنّ هذا الأمر ربما هو الذي يفسر لنا استعمال هذه اللفظة (اليم) في القرآن الكريم في سياق الإهلاك والانتقام ، والإغراق كما بيناه سابقا في قصة إغراق فرعون وجنوده، أو استعمالها في سياق الخوف ، والوجل ، والرهبة كما في قوله تعالى (وأوحينا إلى أمّ موسى أنْ أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك

(١) من أسرار البيان القرآني: ٤٣– ٤٥.
(٢) العين ٣/ ٢١٩ باب الحاء والراء والباء.
(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٥/ ٢٥، الصحاح: ٢/ ٥٨٥، مقاييس اللغة: ١/ ٢٠١، لسان العرب: ٤/ ٤٣، المعجم الوسيط: ١/ ٤٠.
(٤) العين: ٨/ ٤٣١، (باب الميم).
(٥) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/ ٤٦٠، الصحاح: ٥/ ٢٠٦٥، مقاييس اللغة: ٦/ ١٥٣، لسان العرب: ١٢/ ٥٦٦.

وجاعلوه من المرسلين)[1].

اللافت في الاستعمال القرآني أنّ لفظة (يم) لم ترد في القرآن الكريم إلّا للتعبير عن نهر النيل خاصة، أمّا لفظة بحر فقد استعملت في القرآن للدلالة على نهر النيل وغيره وبهذا تكون لفظة البحر أعم من حيث الاستعمال من لفظة (يم).

ويبدو لي أنّ الاستعمال القرآني للفظة (يم) جاء مناسبا لما ذكرته المعاجم اللغوية من أنّ هذه اللفظة تدل على البحر الواسع الذي لا يدرك قعره، إذ أثبتت الدراسات العلمية أنّ نهر النيل هو من أطول أنهار العالم إذ يصل طوله إلى ٦٦٥٠ كيلو متر وتبلغ مساحته ثلاثة ملايين وثلاثمئة وتسعة وأربعين كيلو متر مربع أمّا عمق هذا النهر فيصل إلى تسعة أمتار وقد يزيد عمقه أكثر من ذلك بكثير في بعض مناطقه[2].

وهذا الأمر ربما يكشف لنا السر في استعمال القرآن الكريم للفظة (يم) للتعبير عن نهر النيل خاصة.

اتضح بعد التحقيق أنّ لفظة (اليم) هي من ألفاظ المشترك السامي ولم تكن خاصة بلغة معينة فقد ذكر الدكتور حازم علي كمال أنّ لفظة (يم) بمعنى البحر وفي العبرية (yam) يام وفي السريانية ياما (yamma) وفي الاشورية آمو (amu)[3].

ويستفاد مما تقدم أنّ لفظة (يم) أوسع من حيث الأطلس الجغرافي وأضيق من حيث الدلالة القرآنية من لفظة (بحر).

(١) سورة القصص ، الآية : ٧.
(٢) الشبكة العنكوتية: //https.www.almrsal.com
(٣) معجم مفردات المشترك السامي في اللغة. العربية: ٤١١.

بكة – مكة.

قيل أنّ اللفظتين اسمان لمسمى واحد؛ وذلك أنّ الباء والميم صوتان متقاربان من حيث المخرفيقام كل واحد منهما مقام الاخر[١].

وقيل إنّما سُميت بكة ؛ لأنّها تبكّ أعناق الجبابرة لا يريدها جبار بسوء إلّا اندقت عنقه[٢]، وأمّا مكة فإنما سميت بذلك ؛لأنها تمك الذنوب أي تزيلها كلّها من قولك أمتك الفصيل ضرع أمه أي استقصى ما في الضرع.

ويحسن – بنا – هنا – أنْ نقف على الأصل اللغوي لكلّ واحدة منها ؛ لأهمية ذلك في تشخيص الدلالة القرآنية، فقد ذكر ابن فارس في أصل لفظة (بكة) أنّ (الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاحم والمغالبة ... ويقال سميت بكة؛ لأنّها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم ينظروا، ويقال بل سُميت بكة ؛ لأنّ الناس بعضهم يبك بعضا في الطواف أي يدفع)[٣].

ونصّ الراغب الاصفهاني على أنّ أصل التسمية مأخوذ (من التباك أي الازدحام ؛ لأنّ الناس يزدحمون فيه للطواف)[٤]، ومن هنا نلحظ أنّ معنى التزاحم ؛ والتدافع ، والمغالبة ملازمة للفظة، ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم إلّا في موضع واحد وهو قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكةَ مباركا وهدى للعالمين)[٥].

أمّا أصل دلالة لفظة (مكة) فقد قال ابن فارس إنّ (الميم والكاف أصل صحيح يدل على انتقاء العظم ثم يقاس على ذلك، يقولون: تمككت العظم: أخرجت مخه وأمتك الفصيل ما في ضرع أمّه: شربه، والتمكك الاستقصاء)[٦].

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٢٦٦، والاتقان في علوم القرآن : ٤/ ٨٥،ومعترك الاقران: ٢/ ٨١، وجمع البيان ١/ ٢٨٠.
(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٨٧.
(٣) مقاييس اللغة ١/ ١٨٦(بك).
(٤) مفردات الفاظ القرآن: ١٤٠.
(٥) سورة ال عمران ، الآية : ٩٦
(٦) مقاييس اللغة: ٥/ ٢٧٤ (بك).

ويتضح – مما تقدم – أنّ معنى الاستقصاء والانتقاء والإخراملازم لدلالة هذه اللفظة. ولم ترد هذه اللفظة أيضًا إلّا في موضع واحد من الذكر الحكيم وذلك في قوله عز وجل (وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أنْ أظفركم عليهم)[1].

ونتساءل هنا عن سبب استعمال القرآن الكريم لفظة (مكة) في هذا الموضع وهو الآية الرابعة والعشرون من سورة الفتح أمّا لفظة (بكة) فقد جاءت في الآية السادسة والتسعين من سورة ال عمران.

وجواب ذلك أنّ القرآن الكريم أراد أنْ يراعي الأصل لكلّ لفظة ويناسب هذا الأصل للسياق الذي وردت فيه كلّ لفظة، وذلك أنّ معنى آيات سورة الفتح –كما يرى السيد الطباطبائي – (ظاهرة الانطباق على قصة صلح الحديبية الواقعة في السنة السادسة من الهجرة وما وقع حولها من الوقائع كقصة تخلف الأعراب وصد المشركين وبيعة الشجرة)[2].

فكان السياق سياق كفّ وإخراومنع للمشركين بالدخول إلى مكة، قال الطباطبائي في تفسير هذه الآية: (الظاهر أنّ المراد بكف أيدي كل من الطائفتين عن الأخرى ما وقع من الصلح بين الفئتين بالحديبية وهي بطن مكة لقربها منها، واتصالها بها حتي قيل إنّ بعض أراضيها من الحرم وذلك أنّ كلّا من الفئتين كانت أعدى عدو للأخرى ....وقد أظفر الله النبي والذين آمنوا على الكفار حيث دخلوا أرضهم، وركزوا أقدامهم في عقر دارهم فلم يكن ليتوهم بينهم إلّا القتال لكن الله سبحانه كف أيدي الكفار بعد إظفار المؤمنين عليهم)[3].

ومن هنا نلحظ أنّ سياق سورة الفتح والموضع الذي وردت فيه لفظة (مكة) هو سياق كفّ وإخراومنع للمشركين بالدخول إلى مكة ؛ لذلك استعمل ما يدل على معنى الاستقصاء والانتقاء والإخراوهو المستفاد من لفظة (مكة).

واذا انتقلنا إلى الموضع الآخر وهو الآية السادسة والتسعون من سورة ال عمران، فإنها

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٤.
(٢) الميزان في تفسير القرآن : ١٨/ ٢٨٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٨/ ٢٩٩.

تتحدث عن اجتماع وتزاحم الناس حول هذا البيت المقدس.

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: (معناه : إنّ أول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحإليه وقد كانت قبله بيوت كثيرة ، ولكنه أول بيت مبارك وهدى وضع للناس)[١]، فسياق الآية هنا اجتماع وتزاحم وتدافع بين الحجيفكان الأنسب إلى ذلك استعمال لفظة (بكة).

فضلًا عما تقدم فإنّ صوت الباء الذي جاء مع لفظة (بكة) هو صوت شديد- كما يقول علماء الصوت - وعند النطق به ينحصر الهواء الصادر من الرئتين انحصارا تاما عند الشفتين وتنطبق الشفتان انطباقا تاما ، ثم تنفرفيندفع الهواء فجأة من الفم محدثا صوتا انفجاريا مع تذبذب الوترين الصوتيين[٢]، ولعل هذا الوصف الذي ذكره علماء الصوت للباء جاء مناسبا للسياق الذي وردت فيه هذه اللفظة.

٤- دلالة لفظتي: (المخادعة) و(المكر)

المنسوبتين إلى الذات المقدسة وذلك في قوله تعالى: (إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم...)[٣]، وقوله عز من قائل: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[٤].

فالذي يبدو من النصين المباركين هو صدور المخادعة والمكر من الله تعالى، وهو أمر دفع كثير من المفسرين إلى العدول عن هذا المعنى والبحث عن تأويل لهما يبعد نسبة هذين المعنيين إلى الذات المقدسة.

فقد ذكر المفسرون أنّ المعنى قوله تعالى (وهو خادعهم) اي: مجازيهم على خداعهم فسمّى عقوبة المذنب باسم الذنب[٥].

(١) جمع البيان: ٢/ ٢٨٠.
(٢) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١/ ٧٧، مناهج البحث في اللغوي: ٨١، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٧٨، علم الاصوات:
(٣) سورة النساء ، الآية : ١٤٢.
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠.
(٥) ينظر: تفسير البغوي: ١/ ٧١٤، التفسير الكبير للرازي: ٢/ ٣٠٩،تفسير القرطبي ٥/ ٤٢٢، البحر المحيط: ٤/ ١٣١.

قال ابن عطية تعليقا على قوله تعالى (وهو خادعهم) : (أي منزل الخداع بهم وهذا عبارة عن عقوبة سمّاها باسم الذنب)[١].

فيكون معنى قوله (وهو خادعهم) -بناء على ما تقدم- هو مجازيهم جزاء الخداع، فسمى جزاء الخداع خداعًا، وقد لوحظ أنّ هذا التوجيه هو الشائع في البحث التفسيري، ويبدو أنّ السبب في هذا التوجيه هو أنّهم لم يتحققوا في الأصل اللغوي لهذه اللفظة مكتفين بالدلالة الأخرى للّفظة التي شاعت في اللغة وهي التغير والتلون من حال إلى حال، فقد جاء في المعجم الوسيط قوله (خدع فلان تخلق بغير خلقه ... وهو خادع الرأي متلون لا يثبت على رأي)[٢].

ولذلك حاولوا إبعاد نسبة هذا اللفظ إلى الذات المقدسة، والحال أنّهم لو عرفوا الأصل اللغوي لهذه اللفظة لما لجأوا إلى هذا التوجيه ومخالفة ظاهر النص القرآني؛ ذلك أنّ أصل الخدع هو الإخفاء.

قال الخليل: (الإخداع: إخفاء الشي وبه سُميت الخزانة مخدعا، والاخدعان: عرقان في اللبتين؛ لانهما خفيا وبطنا ويُجمع على أخادع)[٣]، ويقال: خدع الريق في الفم ؛ وذلك أنّه يُخفى في الحلق ويغيب[٤]، ومن هنا لا داعي إلى متابعة ما قاله كثير من المفسرين من أنّ (خادعهم) في الآية المباركة هو من باب تسمية العقوبة باسم الذنب ، وإنّما المعنى الذي نميل إليه وينسجم مع ظاهر النص القرآني هو أنّه تعالى يباغتهم ويأتيهم بالعذاب الدنيوي ، أو الأخروي من حيث لا يشعرون، أي: أنّ عقوبته إياهم خفية عليهم، ولم يكونوا ليتوقعوا أنّها تأتيهم من هذا المكان.

وهذه حقيقة قرآنية ذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى: (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من

(١) المحرر الوجيز: ٢/ ١٢٧.
(٢) المعجم الوسيط: ٢٢٠ (خدع)
(٣) العين: ١/ ١١٥، باب (العين والخاء والدال)، وينظر: مقاييس اللغة: ٢/ ١٦١(خدع).
(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٢/ ١٦١ (خدع).

حيث لا يشعرون)[١]، أي: (أنّ العذاب المذكور حل بهم بغتة وهم لا يشعرون فإنّ الأخذ فجأة أشدّ نكاية لما يصحبه من الرعب الشديد بخلاف الشيء الوارد تدريجيا فإنّ النفس تتلقاه بصبر)[٢]، ونظير ما قلناه ينطبق أيضا على معنى الآيتين المباركتين وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٣].

وقوله عز اسمه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٤].

وتأمل في توجيه الزمخشري لمعنى المكر المنسوب إلى الله تعالى في الآية قال: (ويمكرون ويخفون المكايد له ، ويمكر الله ويخفى الله ما أعدّ لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين)[٥]، ونجد هنا في تفسير الآية المباركة أنّ الزمخشري يوظف المرجعيات اللغوية في معنى المكر الوارد في النص السابق، فقد ذكر أصحاب المعاجم اللغوية أنّ معنى المكر في اللغة هو الخديعة[٦]، ومن الواضح أنّ أصل الخديعة هو الإخفاء كما ذكرناه آنفا.

٥- المخالفة في لفظة (الرسالة) بين صيغتي الجمع والإفراد.

فقد وردت هذه اللفظة بصيغة المفرد في موضع واحد من القرآن الكريم في سياق قصة النبي صالح عليه السلام ، وهو قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[٧]، أمّا صيغة الجمع فقد جاءت في سبعة مواضع من القرآن الكريم واستعملت في سياق قصة لأكثر من نبي، فقد وردت في قصة النبي نوح عليه السلام وهو قوله تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا

(١) سورة النحل ، الآية : ٢٦، وينظر: سورة الاعراف ، الآية : ٩٥، سورة يوسف، الآية : ١٠٧، سورة النحل ، الآية : ٤٥، سورةالشعراء ، الآية: ٢٠٢.
(٢) التحرير والتنوير: ١٤/ ١٣٥.
(٣) سورة ال عمران ،الآية : ٥٤.
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠.
(٥) الكشاف: ٢/ ٢١٦.
(٦) ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/ ٨١٩ (مكر)، مقاييس اللغة: ٥/ ٣٤٥ (مكر)، لسان العرب: ٥/ ١٨٣ (مكر).
(٧) سورة الاعراف ، الآية : ٧٩.

تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وجاءت في قصة النبي هود ﷺ وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[2]، وجاءت أيضا في قصة النبي شعيب ﷺ وذلك في قوله عزّ اسمه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[3].

واستعملت في قصة النبي موسى ﷺ وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[4]، أمّا المواضع الأخرى فلم تختص بنبي معين بل كانت حديثا عن الأنبياء جميعا[5].

وقد حاول الدكتور فاضل السامرائي إيجاد تفسير لهذه المخالفة بين صيغتي الافراد ، والجمع إذ يرى أنّ استعمال صيغة المفرد (رسالة)، في سياق قصة النبي صالح ﷺ كان مناسبا للعمل الذي كُلف به فقد بُعث إلى أمة واحدة، أمّا استعمال صيغة الجمع (رسالات) مع قصة النبي شعيب ﷺ فكان مناسبا لها؛ لأنّه بُعث إلى أمتين هما: مدين وأصحاب الأيكة، فضلًا عن ذلك – والرأي للدكتور السامرائي – أنّ الاختلاف بين الصيغتين إنّما جاء ليناسب ما ذُكر في كل قصة من القصتين فلما كان ما ذكره شعيب ﷺ من الأوامر، والنواهي ، والتبليغات أكثر مما ذكره صالح ﷺ أتى بصيغة الجمع مع النبي شعيب وبالإفراد مع النبي صالح[6].وإلى هذا الرأي أو قريب منه ذهب عدد من الدارسين[7]، إلّا أنني بعد التأمل والتحقيق في مواضع استعمال الصيغتين في القرآن الكريم اتضح لي أنّ ما ذهب إليه الدكتور

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٦٢.
(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٦٨.
(٣) سورة الاعراف ، الآية : ٩٣.
(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٤.
(٥) ينظر: سورة الاحزاب ، الآية : ٣٩، سورة الجن ، الآية : ٢٨.
(٦) ينظر: التعبير القرآني:٤٥.
(٧) ينظر: الاعجاز البياني في صيغ الالفاظ (دراسة تحليلية للأفراد والجمع في القرآن): ٢٢٠-٢٢١، أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم: ٢٩-٣٠، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ٥٤٩.

فاضل السامرائي وعدد من الباحثين هو رأي تعوزه الدقة، ومن هنا سجلت مجموعة من ملاحظي حول هذه المسألة:

إنّ الاختلاف بين رسالة ورسالات بين الافراد والجمع ليس محصورا بما ذكرهما الدكتور السامرائي وهما صالح وشعيب عليهما السلام، فقد ورد ذكر هذه اللفظة بصيغة الجمع مع نوح وهود عليهما السلام كما اتضح ذلك من نصوص قرآنية، فإذا كان السبب في مجيء الرسالة بصيغة الجمع مع النبي شعيب هو أنّه بُعث إلى أمتين – كما يقول الدكتور السامرائي فما هو تفسير ورودها بصيغة الجمع مع نوح وهود عليهما السلام وهما لم يبعثا إلى أمتين فضلاً عن أنّه لو كان السبب في العدول إلى صيغة الجمع مع النبي شعيب هو ما ذكره الدكتور السامرائي ؛ لكان التعبير المناسب على لسان شعيب أنْ يقول: لقد ابلغتكم رسالة ربي بالإفراد، مع أنّ الآية جاءت بصيغة الجمع في خطاب شعيب لقومه (مدين) وهذا يعني – بحسب ظاهر النص – أنّ الرسالات قد بلغها قوم مدين خاصة ؛ لأنّ الخطاب موجه لهم كما في الآيات ٨٥–٩٣ من سورة الأعراف.

هذا إذا أضفنا إلى أنّ تعدد الأقوام والأمم لا يقتضي بالضرورة تعدد الرسالة؛ لأنّ الرسالة واحدة وإنْ تكررت على أكثر من أمّة إلّا إذا افترضنا أنْ رسالته إلى مدين غير رسالته إلى أصحاب الأيكة وهذا الأمر بحاجة إلى إثبات.

ما ذكره الدكتور السامرائي وعدد من الدارسين من أنّ السبب في العدول إلى صيغة الجمع هو ما تضمنته رسالة النبي شعيب من أوامر ونواه كثيرة، أمّا رسالة النبي صالح فلم تتضمن أوامر ونواه كثيرة.

وهذا التوجيه – فيما يبدو لي – غير دقيق أيضا؛ لأنّ رسالة النبي صالح ﷺ قد تضمنت هي الأخرى على أوامر ونواه كثيرة كما هو مذكور في الآيات: ٧٣،٧٥،٧٧ من سورة الأعراف ، والآيات : ٦١،٦٢،٦٦ من سورة هود ، و الآية : ٤٢ من سورة الشعراء ، والآية:٤٥ من سورة النحل والذي أراه أقرب إلى سبب هذا العدول والتغاير بين الإفراد والجمع هو ما ذكره الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ... إلى قوله أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، قال (... ويجوز أنْ يريد رسالاته اليه ، والى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ، ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة)[2]، فيكون معنى الرسالات بصيغة الجمع -في ضوء ما تقدم - هو رسالة الأنبياء قبله مع رسالته، أمّا ما ورد بصيغة المفرد مع النبي صالح ﷺ فقد يراد منها رسالته التي كلفة الله بها دون رسالات الأنبياء السابقين أو يراد منها جنس الرسالة ؛ ولذلك جاء بصيغة المفرد والله اعلم.

المبحث الثاني

التحقيق في دلالة بعض التراكيب القرآنية

سنقتصر هنا في هذا المبحث على مسألتين ذكرهما المفسرون والبلاغيون ورددها الدارسون وهما:

حذف الموصوف

حذف المضاف

حذف الموصوف

نلحظ في بعض النصوص القرآنية أنّ القرآن الكريم يعمد إلى حذف الموصوف في موضع معين ويعود إلى ذكره في موضع آخر في النصّ نفسه، ففي قوله تعالى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)[3]، يذكر الموصوف (الحياة) مع صفته (الدنيا) لكنه في موضع آخر من السورة نفسها لا يذكر هذا الموصوف وإنّما يكتفي بالصفة فقط وذلك في قوله تعالى: (ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله أنْ يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)[4].

وقد علل بعض الباحثين سبب حذف الموصوف من الآية الثانية بالتنبيه والاشعار

(١) سورة الأعراف ، الآيات : ٥٩-٦٢.
(٢) الكشاف: ٢/ ١١٥.
(٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٥.
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٥٨.

بدناءة الموصوف وهو الدنيا وعدم الاكتراث بها[1]، بيد أنّ التأمل في سياق الآيتين المباركتين يكشف لنا سببا آخر يقف وراء هذا الحذف والذكر في الموضعين.

وتوضيح ذلك هو أنّ سياق الآية الأولى من سورة التوبة التي ورد فيها ذكر الموصوف كانت حديثاً عن إنفاق هؤلاء المنافقين لأموالهم وأنّهم مهما أنفقوا من أموال فلن تقبل منهم؛ لأنّهم كفروا بالله وبرسوله وسبب ذلك يعود – فضلًا عن عدم صدقهم – إلى حبهم للحياة الدنيا وتعلقهم بها وكفرهم بالله ورسوله كما توضحه الآيات التي سبقت تلك الآية وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[2]، فجاء ذكر الموصوف (الحياة) في هذا الموضع ليناسب السياق الذي يتحدث عن تعلق هؤلاء المنافقين بالحياة الدنيا واعتزازهم بزخارفها وزينتها.

أمّا الآية الثانية التي حذف فيها الموصوف فسياقها مختلف عن الأولى وذلك أنّ الآية التي قبلها تتحدث عن تكليف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزاء هؤلاء المنافقين بعد موتهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[3].

فالحديث هنا عن المنافقين بعد موتهم ؛ ولذلك ناسب السياق حذف الموصوف وهو (الحياة)، ولعلك تلمس ذلك في دقة المقابلة بين الآية الرابعة والخمسين التي سبقت الآية الأولى ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ ، وبيّن الآية الرابعة

(١) ينظر: النعت في التركيب القرآني: ٢/ ٢٦٠.
(٢) سورة التوبة ، الآيات : ٥٣-٥٥.
(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٨٤-٨٥.

والثمانين التي سبقت الآية الثانية وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فذكر الموصوف وهو الحياة عندما كانوا أحياء لا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى ولا ينفقون فيها إلّا وهم كارهون ولم يذكر الموصوف عندما كانوا أمواتا، والله اعلم.

حذف المضاف.

نحاول هنا أنْ نقف على مسألة تسالم عليها المفسرون وعلماء البلاغة والمتمثلة بحذف المضاف في قوله تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها...)[1]، والتقدير عندهم: واسأل أهل القرية[2].

ويبدو أنّ مرجع هذا الرأي يعود إلى فكرة سائدة وقارّة اتفق عليها كثير منهم وهي أنّ لفظة (قرية) تدل على الموضع الذي يجتمع فيه الناس فقط، مع أنّ هذه اللفظة لا تدل على الموضع فقط وإنّما تدلّ أيضا على القوم المجتمعين في القرية؛ ذلك أنّ أصل هذه اللفظة هو الدلالة على الجمع والاجتماع.

قال ابن فارس: (القاف والراء والحرف المعتل الأصل صحيح يدل على جمع واجتماع)[3]، وذكر المبرد تعقيبا على هذه الآية المباركة أنّ المقصود بالقرية في الآية هو القوم أنفسهم[4].

وقال الراغب في مفرداته أنّ (القرية) اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعا ويستعمل في كل واحد منهما)[5]، وننقل هنا رواية تعزز ما قلناه فقد (حكى أنّ بعض القضاة دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال أخبرني عن قول الله تعالى: ((وجعلنا

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٤٨، تفسير القرطبي: ١/ ٢٣٩، البحر المحيط: ١/ ٤٣٠، وجمع البيان: ٥/ ٣٤٢، تفسير الثعلبي: ٤/ ٣١٦، تفسير البغوي: ١/ ١٩٩، تفسير ابن عطية: ٣/ ٢٧١، تفسير الجلالين: ١/ ٣٦٠، سر الفصاحة: ١/ ١٣٢، اسرار البلاغة: ١/ ٤١٦، الصناعتين: ١/ ١٨١، مفتاح العلوم: ١/ ٣٩٢.
(٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٧٨.
(٤) ينظر: ما اتفق لفظة واختلف معناه: ٧٧.
(٥) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٦٦٩ (قرى).

بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة))[1].

ما يقول فيه علماؤكم؟ قال: يقولون: إنّها مكة، فقال وهل رأيت فقلت: ماهي؟ قال: إنّما عني الرجال فقال: فقلت: فأين ذلك في كتاب الله؟ فقال ألم تسمع قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ... ﴾[2])[3].

وبناء على ما تقدم فلا داعي إلى تقدير مضاف في الآية المباركة كما ذكر كثير من المفسرين والبلاغيين ما دامت اللفظة تدل في معناها المعجمي على الناس ، أو القوم ولا تنحصر دلالتها على المكان الذي يجتمع فيه الناس.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

بعد الانتهاء من هذه السياحة مع دلالة بعض الالفاظ والتراكيب القرآنية، ومناقشة آراء العلماء والدارسين في ذلك، فقد خلص البحث إلى جملة من النتائج نحاول هنا أنْ نوجز أهمها في النقاط الاتية:

اتضح أنّ سبب التغاير في استعمال لفظي (الزوج- المرأة - في القرآن الكريم يعود إلى أنّ القرآن الكريم ينظر إلى المرأة بلحاظين مختلفين الأول: كونها زوجا للرجل وقرين مماثل له لها من الحقوق ماله ، والثاني: كونها تمثل كيانا آدميا مستقلا له صفاته الخاصة التي تميزه عن الرجل من قبيل الأنوثة وما يتفرع عنها، فإذا كان السياق يرتبط باللحاظ الأول فإنه يستعمل لفظ الزو، أمّا إذا كان السياق يرتبط بالثاني فإنّه يأتي بلفظ امرأة.

لوحظ أنّ لفظة (اليم) لم تستعمل إلّا للتعبير عن بحر النيل خاصة ولم تستعمل في القرآن الكريم مع غيره.

اتضح أنّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظة (مكة) إلّا في سياق إخراومنع المشركين من الدخول إلى مكة؛ لأنّ أصل هذه اللفظة يدل على الاستقصاء والانتقاء والاخراج، أمّا

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٨.
(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٨.
(٣) البصائر والذخائر: ٤/ ٢٦٦

لفظة (بكة) فإنّها لم ترد إلّا في سياق الاجتماع والتزاحم والتدافع بين الناس؛ لأنّ أصل هذه اللفظة يدل على معنى التزاحم والتدافع.

خالف البحث الرأي الشائع لدى علماء التفسير والبيان من أنّ معنى المكر والخداع المنسوبين إلى الذات المقدسة في بعض آيات الذكر المبارك ، هو خفاء العقاب والانتقام الصادر من الله تعالى على عباده العاصين، وهذا المعنى يرتبط بأصل دلالة اللفظتين اللتين تدلان على الخفاء فضلا عن نتائج أُخر وردت في ثنايا البحث.

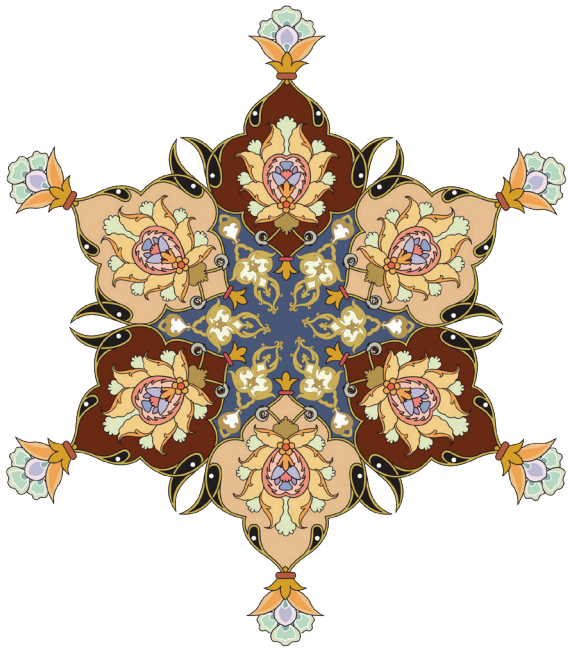

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط٤، منشورات دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٣. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القادر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٤. أسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم، الدكتور شلتاغ عبود، دار الحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط، ٢٠٠٣م.

٥. الاعجاز البياني في صيغ الالفاظ دراسة تحليلية للأفراد والجمع في القرآن، الدكتور محمد امين الخضري، ط١، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة، مصر، ١٩٩٣م.

٦. الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م.

٧. إعجاز القرآن . البياني ودلائل مصدره الرباني، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الاردن، ٢٠٠٠م.

٨. البحر المحيط، اثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت٧٥٤هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض (د.ت)

٩. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي (ت٤١٣هـ) تحقيق، أحمد أمين وأحمد صقر، مطبعة جنة التأليف والترجمة ١٩٥٣م.

١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي تحقيق محمد على النجار، المكتبة العلمية.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، د. ط.، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٢. التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م

١٣. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ط٢- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

١٤. تفسير الثعلبي، أبو اسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق الامام أبو محمد بن عاشور- مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ط١-٢٠٠٢م

١٥. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وجلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان د.ت.

١٦. تهذيب اللغة، ابو منصور الازهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق يعقوب عبد النبي ومحمد علي النجار، د. ط.، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، مصر، د.ت.

١٧. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله بن ابي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م

١٨. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، الدكتور محمد ياس خضر الدوري، د. ط.، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٩. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ)، صححه وعلق عليه عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٣٧٢/ ١٩٥٢م.

٢٠. الصحاح تااللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) تحقيق احمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٢١. علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

٢٢. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمد السعران، د. ط.، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

٢٣. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان- د. ط، د. ت.

٢٤. كتاب الصناعتين، ابو هلال الحسين بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق علي محمد البجاوي وابو الفضل ابراهيم مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر (د.ت) .

٢٥. الكشاف عن الحقائق، غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم الزمخشري (ت٣٨٥ هـ) تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود وزميلاه، مكتبة العكيبان، الرياض، السعودية، ١٩٩٨م.

٢٦. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط، د .ت .

٢٧. ما اتفق لفظة واختلف معناه، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، دراسة وتحقيق الدكتور احمد محمد سلمان، ط، الكويت، ١٩٨٩م .

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق هاشم الحلاني، وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط، ١٩٨٦م.

٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو محمد بن عطيه الاندلسي (ت٥٤٦هـ) تحقيق عبدالله بن ابراهيم الانصاري واخرون دار الخير، دمشق، سوريا، ط٢، ٢٠٠٧م.

٣٠. معجم الادباء، ياقوت الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ) تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار الغرب الاسلامي ١٩٩٣م.

٣١. معترك الأقران في أعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م

٣٢. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، الدكتور محمد محمد داوود، د. ط.، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.

٣٣. معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، الدكتور حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة.

٣٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

٣٥. المعرب من الكلام الاعجمي، أبو منصور الجواليقي (ت٥٤٠ هـ) وضح حواشيه وعلق عليه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٦. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (ت٦٠٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١-١٩٨١

٣٧. مفتاح العلوم، ابو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق، الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٨. مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٩م.

٣٩. مقاييس اللغة، احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ١٩٧٩.

٤٠. من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، السعودية، ط ،١٩٨٣م.

٤١. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، مكتبة الانجلو القاهرة، مصر، د.ط، ١٩٩٠م .

٤٢. الميزان في تفسير القرآن ، العلامة محمد حسين الطباطبائي مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط، ١٩٩٧م.

٤٣. النعت في التراكيب القرآني، الدكتور فاخر هاشم الياسري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١- ٢٠٠٩م.

٤٤. نهج البلاغة ، وهو مجموعة خطب مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واوامره وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، تأليف: ابو الحسن الشريف الرضي، تعليق وفهرسه، الدكتور صبحي الصالح ط٣، مطبعة سرور، أيران، ١٤٢٥هـ.